

## المرجعيات الثقافية في ديوان زهير بن جناب الكلبي

م.د. مروة عبد الخالق بدري  
جامعة القادسية/ كلية التربية

## الخلاصة:

يكشف هذا البحث عن المرجعيات الثقافية سواء أكانت تاريخية أم أدبية أم عقائدية في ديوان شعر ( زهير بن جناب الكلبي ) وبيانها وما رافقها من انساق ثقافية ألهمت الشاعر في إنتاج نصوصه الشعرية وبثها للمتلقي، جعلها موثيق أدبية لأحداث وأشخاص ووقائع ومعتقدات وثقافات متنوعة، كشفت بوضوح ومصداقية واقع المجتمع الجاهلي العربي آنذاك من وجهة نظر شاعر حكيم.  
كلمات مفتاحية: المرجعيات، الثقافية، زهير ابن جناب الكلبي .

## Abstract:

This research investigates the historical, literary and ideological cultural references in the poetry collection of Zuhair Ibn Janab Al-Kalbi and explains them, and the cultural patterns that accompanied these references, accompanied by personal motives that inspired the poet to write his poetic texts and broadcast them to the recipient. Making them literary documents of diverse events, people, facts, beliefs and cultures, they clearly and credibly revealed the reality of pre-Islamic Arab society at that time from the perspective of a wise poet.

**Keywords:** References, cultural, Zuhair ibn Janab al-Kalbi.

## مدخل : المرجعيات الثقافية ( تأصيل المفهوم )

قبل معالجة الموضوع كان لا بدّ لنا من وقفة علمية اتجاهاً بعض المفاهيم الخاصة بالبحث، ومنها :  
المرجعية والثقافة.

فالمرجعية وردت بلفظ (الرجعي) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَهِي رَبِّيكَ الرَّجْعِيُّ ﴾ [العلق/٨]، وتعني العودة والرجوع وهذا ما ورد في معجمات اللغة، فجاء في لسان العرب أنّ المرجع من ( رجع ، رجعاً، مرجعاً من المصادر التي من فعل يفعل على مَفْعِل)، وتعني الرجوع والعودة.<sup>(١)</sup>  
أما في الاصطلاح فهو ((العلاقة بين العلامة وما تشير إليه))<sup>(٢)</sup>، ونجد الوظيفة المرجعية عند رومان جاكوبسن ((هي أساس كل تواصل، وهي تحدد العلاقات بين المرسله والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه، وهي أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل ذاتها فهي الوظيفة المسماة تعيينية أو تعريفية أو مرجعية، وهي العمل الرئيسي للعديد من الرسائل في حين لا تلعب الوظائف الأخرى في المراسلات كهذه سوى دور ثانوي))<sup>(٣)</sup>. فالمرجعية الأدبية إنّ صحّ التعبير تعني العودة إلى كلّ ما من شأنه أن يسهم في إثارة البواعث النفسية والشعورية والعقلية التي تؤدي إلى عملية التواصل، وتختلف هذه البواعث بحسب اختلاف البيئات التي تنطلق منها الذات المعبرة، وهنا يأتي أثر الثقافة والتي تعني بحسب

معجمات اللغة ((الحذق والفتنة))<sup>(٤)</sup>، وفي الاصطلاح ((مجموعة الأعراف والتقاليد والعادات والفنون والآداب والسنن المتوارثة في أمة من الأمم))<sup>(٥)</sup>.

والمرجعيات الثقافية هي الرجوع إلى مجموع العادات المتوارثة والمخزنة في الفهم الجمعي في مجتمع ما من قبل الأديب وبثها في مجموع أدبه لتكون مادته الخام في صوغ فيوضاته الشعرية وبثها للمتلقي، فتشكل هذه الطروحات الأدبية مجمل الثقافات وتحفظها أجيالاً لتكون لنا رؤية قد تكون واضحة عن مجتمع معين في عصر معين .

فزهير بن جناب الكلبي شاعر الرعيل الأول من الجاهليين نقلت لنا مرجعيته الشعرية حضارة ما قبل الإسلام تاريخاً وثقافة، وزهير هو ابن جناب بن عبدالله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة<sup>(٦)</sup>، توفي سنة ( ٦٠ ق. هـ) حيث يعد من المعمرين، واختلفت الآراء في ما بلغ من العمر وتراوحت بين المائتين والثلاث مئة سنة وحتى الأربع مئة سنة مع ورود المبالغة في ذلك<sup>(٧)</sup>، وله من الولد عدد كبير وكانوا شعراء، يقول صاحب الأغاني: ((ولم يوجد شاعر في الجاهلية والإسلام ولد من الشعراء أكثر من زهير))<sup>(٨)</sup>. واجتمع في زهير بن جناب عدد من الصفات التي قل أن تجتمع في رجل سواه إذ ((كان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه، خطيبهم، وشاعرهم، وطبيبهم، ووافدهم إلى الملوك .. ولم يكن في العرب أنطق من زهير بن جناب ولا أوجه عند الملوك وكان لشدة رأيه يسمى كاهناً))<sup>(٩)</sup>.

وفي المصادر أن قبائل قضاة لم تجتمع إلا على رجلين إثنين: زهير بن جناب ورزاح<sup>(١٠)</sup>، وعد صاحب المحبر ان زهيراً أحد الجرارين و((لم يكن الرجل يسمى جراراً حتى يرأس ألفاً))<sup>(١١)</sup>.

أما عن شعره فقد جمعه وضبطه الدكتور (محمد شفيق البيطار) مدرس الأدب الجاهلي في جامعة دمشق، يقول: ((وقد كان زهير بن جناب واحداً من أبرز شعراء بني كلب بن وبرة الذين قمت بجمع أخبارهم وأشعارهم ودراستها في بحث مستقلٍ وافٍ بعنوان: ((شعراء بني كلب بن وبرة: أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام... ولكنني رأيت أن أفرد هذا الشاعر فأخرج له ديواناً مستقلاً أقدم له بمقدمة عن حياته وشعره وتوثيقه، وذلك لأهمية حياته في تاريخ الجاهلية، ولأهمية شعره في أولية الشعر الجاهلي القديم بموضوعاته وخصائصه))<sup>(١٢)</sup>.

وبالفعل فقد ضمّ ديوان هذا الرجل أخباراً وصوراً من التاريخ الجاهلي عدّت بمثابة وثائق أفادت في الكشف عن مجمل الثقافات السائدة في مجتمع عصر ما قبل الإسلام حاول البحث الوقوف عليها من وجهة نظر نقدية تحليلية.

### أولاً: المرجعية الثقافية العقائدية:

يطلق هذا المصطلح، أعني (العقيدة) على الأمر الذي يعتقد الإنسان، ويعقد عليه قلبه وضميره حتى يصبح عنده حكماً لا يقبل الشك وبناء عليه تترتب فاعليتي القصد والقول والعمل بموجبهما<sup>(١٣)</sup>.

فتعددت المرجعيات الثقافية العقائدية في الشعر الجاهلي بناء على تعدد البيئات المحيطة بالشاعر والمسورة للعقل الجمعي الواعي أو اللاواعي المتصل بتعدد تلك الثقافات فجاءت العقائد بصور متعددة دينية واجتماعية وأسطورية . وما رافق ذلك من المعتقدات المتصلة بذات الإنسان وسلامة بقاءه كأساطير التي عملت على تثبيت هذه المعتقدات في صيغة ساعدت على حفظها وتداولها بين الأجيال عن طريق أثرها في تشكيل الرؤية الإنسانية للواقع وتفسير الأسرار والسير نحو الطمأنينة<sup>(١٤)</sup>. فكان شعر زهير ابن جناب الكلبي نافذة عكست شيئاً من هذا الموروث الثقافي العقائدي المتمثل بقصص الانبياء وأحاديث القدر والنجوم والآلهة .

ولعل قصة سيدنا نبي الله سليمان (عليه السلام) من أبرز القصص التي عرض لها زهير في معرض حديثه عن الدهر ودواهيته في إطار حكمي رائع، لما لهذه الشخصية من فرادة وقوة حكمت على

العقل الإنساني بالتعظيم والاجلال فكانت من أبرز المرجعيات الثقافية العقائدية المحتفى بها في قوله : (١٥)

....

يروح ويغدو والمنية قصره  
ضلالاً لمن يرجو الفلاح وقد رأى  
ولا بدّ من يوم يسوق الدواهي  
حوادث أيام تحط الروابي  
أصبن سليمان الذي سخرت له  
شياطين يحملن الجبال الرواسيا

هذا النسق المتوارث أجيالاً يعكس تنافذ الثقافات الدينية العقائدية بين المتحاورين من أصحاب الديانات التوحيدية والوثنية بما يدل على سعة الاطلاع وتبادل الثقافات، وجاء كلام الله مؤكداً هذا الموروث في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا شَهْرًا وَّرَوَاحَهَا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ □ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ/ ١٢-١٣].

وكان القدر النسق الاكثر تأثيرا والاقرب من قدرة الالهة، إذ حمله الشاعر مسؤولية ما يصيبه من خير أو شر فجاءت المنايا عادة مصحوبة به ، تبين هذا في قوله: (١٦)

سنها رابع الجيوش عليم  
كلّ يوم تأتي المنايا بقدر

فكان القدر من العقائد المثبتة في الفكر الإنساني بينها الشاعر كثقافة سائدة واجه بها الخوف من المجهول. ولعلّ من أروع المرجعيات الثقافية العقائدية التي حكمت الفكر الجاهلي هو ارتباط الآلهة بالمرأة قداسةً وحباً؛ (( ذلك لأنّ الشاعر الجاهلي وهو يرمز إلى الصورة الإنسانية، فانما يرمز إلى الصورة الدينية)) (١٧)، في شعره اتضح هذا في قول زهير: (١٨)

فحيـاك ود زودينا تحية  
لعل بها عان من الكبل يطلق

(ود) (١٩) صنم بني كلب، وظفه الشاعر كونه نسقاً مقدساً مؤثراً في المتلقي (المحبوبة) من باب الدعاء والرجاء، فكانت الاستجابة للمقدس بديهية اتضح ذلك في ردها مباشرة

فـردت سلاماً ثم ولت بحلقة  
ونحن لعمرى يابنة الخير اشوق (٢٠)

وما يلحظ من قراءة العقائد في شعر زهير اتصالها بالواقع الذي يعيشه الشاعر وابتعادها عن الخيال الجمعي ولا سيما ما يتصل بالاساطير والتواويز التي تتصل بالوعي الجمعي ، ومرجعية ذلك طبيعة هذه الشخصية المتزنة، فزهير كان سيد قومه الموصوف بالشجاعة والحكمة في مواجهة الأقدار والمحافل، والأمر هذا يفسر كثرة الوقائع والأحداث التاريخية وشيوع الحكمة في شعره حتى أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تمثل بشعره في بعض المواقف (٢١)، والأمر نفسه يفسر ذكره لبعض انواع الأسلحة (٢٢)، التي اعتمدها في مواجهة المخاطر والتي لم ترد إلا في شعره .

### ثانياً: المرجعية الثقافية الأدبية:

إنّ الأصل الذي قامت عليه دعائم الحياة الأدبية كان العصر الجاهلي، هذا العصر الذي سور الثقافة العربية بما انتجه من عجائب اللغة شعراً، فكان الأدب الوثيقة التاريخية التي حملت لنا ثقافة العربي في أبهى عصور الفصاحة والبلاغة، وكان الشعر وسيلته التي نقل بها التجارب والانفعالات التي يشعر بها ويحياها.

فالمتتبع للأدب العربي يرى وبوضوح مجمل الأنساق التي احتفى بها الشعراء وضمنوها أقوالهم من شتى أنواع الأدب وصنوفه الراجعة إلى عصر الفصاحة، فما هي مرجعيات زهير بن جناب الكلبي كشاعر جاهلي من الصف الأول يحتذى به، بالشكل الذي جعل شعره أمثلة وحكماً سائرة تبين لنا من خلالها حجم الثقافة المترسخة والمتولدة؛ نتيجة الاطلاع والامتزاج بين القديم والجديد متأثرة بالواقع السياسي والثقافي والاجتماعي (٢٣)، لاسيما وأننا نريد بالمرجعية هنا مجمل التقاليد والثقافات التي خزنها

الموروث الأدبي وحافظ عليها جيل بعد جيل<sup>(٢٤)</sup> يشمل ذلك الأمثال والحكم والقصص وما رافق ذلك في التراث القديم، من ذلك تضمينه المثل: (لا آتيك معزى الفزر)<sup>(٢٥)</sup> في قوله: <sup>(٢٦)</sup>

ولم أرَ حياً من معدّ تفرقوا تفرق معزى الفزر غير بني نهد

إنّ الحادثة التي ذكرت تفرق بني نهد عن معد بحسب مرجعياتها التاريخية أسهمت بانعاش الذاكرة الثقافية الأدبية في استحضار المثل الأنسب في بيانها وتقريبها للمتلقى كنص شعري، حيث أسهم هذا الاستدعاء في إثراء أدبية النص تبين ذلك في توظيف زهير لسياقات القصة الأكثر تداولاً في ضرب الأمثال على مر الأجيال في قوله:

إذا قالت حذام فصدقوها فإنّ القول ما قالت حذام<sup>(٢٧)</sup>

كانت قصة المرأة (حذام) في سياقاتها التاريخية متوارثة في الفهم الجمعي أجيالاً، أفاد زهير من مرجعيات هذه القصة ووظيفها بالشكل الذي جعل منها مثلاً سائراً، إذا لاشيء أسبق إلى الاسماع وأوقع في القلوب، وأبقى على الليالي والأيام – كما يشير صاحب الصناعتين – من مثله سائر وشعره نادر.<sup>(٢٨)</sup> كما أفاد زهير من المثل القائل: (زر غبا تزدد حيا)<sup>(٢٩)</sup> في قوله:<sup>(٣٠)</sup>

إذا ما شئت أن تسلي حبيبا فأكثر دونه عدد الليالي  
فما يسلي حبيبك مثل نأي ولا يبلي جديك كابتذالي  
وزر غبا إذا أحببت خلا فتحظى بالوداد مع اتصال

إنّ توظيف الفكرة السائدة في حفظ الود ودوامه أفاد منها الشاعر وظهرها بإطار حكمي مستعنياً بقصة المثل النافذة عبر التاريخ بوحدة مكثفة، كما كان لهذا الرجل نصيباً كبيراً من الشعر النادر والمثل السائر، إذ أصبح شعره أمثالاً سائرة وحكما نادرة حفلت بها كتب الأمثال والأدب وحملتها الأجيال، فقد عكست لنا أمثال زهير بن جناب صورة الواقع البيئي آنذاك، وعكست أحوال المجتمع الجاهلي وعاداته وقيمه وكانت بالفعل سجلاً حافلاً بأطوار التطور التي مر بها الإنسان العربي حينها، إضافة إلى كونها نبعاً ثرياً في معرفة ثقافة المجتمع وتوجهاته.<sup>(٣١)</sup>

من ذلك قوله: (قد يخرج الخمر من الضنين)<sup>(٣٢)</sup>

إذ نقلت لنا أحداث هذا المثل قصة طويلة جمعت زهير بالشاعر أمرؤ القيس بقالب لغوي مكثف جعل القول متوارثاً أجيالاً متتالية؛ ذلك لأنّ الأمثال بينيتها المختزلة والمكثفة أكثر الأنواع الأدبية حفظاً ودوراناً على الألسنة على مر الأجيال هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجح المثل في نقل صورة الفهم الجمعي للعقل العربي في كفايات التعامل المجتمعي؛ لأنّ الشاعر اتكأ على المرجعيات الثقافية المتوارثة في تعضيد الفكرة وبينها، إلى جانب ما تختزنه هذه المرجعيات من كثافة قيمية تنقل لنا واقع الإنسان العربي آنذاك في كفايات رد المعروف وتقبل الإحسان، يتبين ذلك في رواية تعليق الرسول الأكرم محمد (ﷺ)<sup>(٣٣)</sup> على قول زهير:<sup>(٣٤)</sup>

أرفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه يوماً فتتركه العواقب ما جنى  
يجزيك أو يثني عليك، وإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزي

وعد ابن قتيبة<sup>(٣٥)</sup> هذان البيتان من جيد شعر زهير، وتكمن أهميتهما في تعليق الرسول الكريم عليهما عندما سمع السيدة عائشة تتمثل بهما، فقال لها (عليه أفضل الصلاة والسلام): كيف الشعر الذي كنت تتمثلين به، فأنشده إياه، فقال لها (ﷺ): يا عائشة، (إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس).<sup>(٣٦)</sup>

إنّ فكرة دراسة المرجعيات الثقافية المحملة بالانساق العقائدية والاخلاقية والادبية والتاريخية والانسانية تعد من أهم الموارد المتفق عليها في معرفة حقيقة الثقافة السائدة في أي مجتمع كان، وأحياناً تكون كمواثيق الاثبات في تأكيد قضية معينة أخذت مديات طويلة في التحقيق والتنشيط، هذا بالفعل ما وجدناه في ديوان هذا الرجل في زمن كان فيه الشك أقرب من اليقين عند الباحثين المحدثين في تناول أي قضية أدبية أو غيرها، فكانت التفاتة زهير هامة جداً أفاد منها متلقي الأدب وتاريخه في ذكر بعض سمات

(الخطابة) كنوع نثري اختلفت الآراء في زمن نشأته، فحكم الموروث الشعري الجاهلي هذه المسألة وجاء زهير ابن جناب الكلبي على ذكر بعض سمات هذا الفن في قوله: (٣٧)

### ونطقت خطبة ماجد غير الضعيفة والعيبة

لاسيما وأن الرجل خطيب قضاة وسيدها وبطلها ووافدها إلى الملوك في الجاهلية، حيث كان يدعى الكاهن لصحة رأيه (٣٨). وقد أصاب زهير في تقديم نفسه خطيباً وعد هذه السمة مفخرة تستحق الخلود، فقد كان قلما يرتفع نجم سيد من ساداتهم إلا والخطابة صفة من صفاته وسجية من سجايه حتى تساق له القلوب بازمتها وتجتمع له النفوس المختلفة وأقطارها، حتى ان منزلة الخطيب أحيانا كانت تفوق منزلة الشاعر، فهي قرين السؤدد والشرف والرياسة (٣٩)، هذا من باب ومن باب آخر حمل شعر زهير وثيقة أدبية أثبتت ان للعرب خطبا في جاهليتهم مدعاة للفخر وجاء على بعض صفاتها فهي واضحة، تتسم بالفصاحة والتنظيم والاقناع أو كما وسماها بغير الضعيفة والعيبة .

### ثالثاً: المرجعية الثقافية التاريخية:

لقد برزت هذه المرجعية في شعر زهير بن جناب الكلبي كقضايا مست واقع عصره ، فنقلها إلى الناس كوثيقة شعرية رصدت أبرز الأحداث والوقائع وما صاحب ذلك من أنساب وأشخاص وألقاب وأمكنة مؤكداً صحة الحدث والجوانب الخفية فيه بوصف الشعر وثيقة العربي الأقرب في حفظ العلم ونقله (٤٠)، إذ لا يمكن لأي أديب أن ينطلق من العدم بل لا بدّ من تراكم معرفي وأصول فكرية يستند إليها في تألف أدبه. (٤١)

فكان شعر زهير ابن جناب وثيقة أدبية محملة بالمرجعيات التاريخية التي اعتمدها في تأسيس شعره لاسيما وأن الرجل كان سيد القوم شجاعة وبلاغة حفظ شعره الهوية التاريخية للأمة عن طريق حفظ الوقائع والأحداث التي تزامنت في ذاكرة الشاعر ، وأخذت أشكالاً متنوعة في التعبير والتأثير، وكان الفخر بالأمجاد أبرز تلك الأشكال وأوضحها يتجلى مثلاً في قوله: (٤٢)

ولم تصبر لنا غطفان لما      تلاقينا وأحرزت النسباء  
فلولا الفضل منا ما رجعتم      إلى عذراء شيمتها الحياء  
فإنا حيث لا نخفي عليكم      ليوث حياث يحتضر اللواء  
فخلي بعدها غطفان بسا      ومما غطفان والأرض الفضاء

لقد سجلت هذه الأبيات أحداثاً وقعت في زمن الشاعر، فسجلتها الذاكرة الشعرية وأطلقتها للمتلقي، فكان ذلك وثيقة تاريخية في معرفة صورة المجتمع آنذاك ، فسيد كلب وفارسها لم يرتض ان يكون لغطفان حرماً أمناً كحرم مكة -لا يقتل صيده ولا يعضد شجره ولا يهاج عائده - ، فقاتلهم في موقعهم المزعوم (بس) وأصاب حاجته فيهم وأخذ فارساً منهم أسير في حرمهم الجديد قضرب عنقه وعطل ذلك الحرم ، فحافظ على مكانة قريش وحرم مكة من ناحية، وعزز نفوذ قبيلته قضاة من ناحية أخرى . ومن صور الفخر بالامجاد التي سجلتها ذاكرة زهير الشعرية ونقلتها للمتلقي عبر التاريخ قوله: (٤٣)

تباً لتغلب إذ تساق نساؤهم      سوق الإماء إلى المواسم عطلا  
لحقت أوائل خيلنا سرعاتهم      حتى أسرن على الحبى مهلهلا  
ولت حماتك هاربين من الوغى      وبقيت في حلق الحديد مكبلا  
فلئن قهرت لقد أسرتك عنوة      ولنن قتلت لقد تكون مرملا

قال هذه الأبيات في الواقعة التي كانت بين قومهم وبين بني بكر بن وائل وتغلب بن وائل، والتي أسر فيها كليب ومهلل ابنا ربيعة التغلبيان وغيرهما، وقتل فيها من بني تغلب قتلى كثيرة بعدما هربت بني بكر في مكان يقال له (الحبي) في منطقة نجد، وعلى هذا النحو جعل زهيراً الحوادث التاريخية ميداناً

لعرض صور الفخر بالذات والقبيلة ، فشاعرنا يصل ((إلى موضوعه حين يحرك روحه حدث خارجي أو انفعال داخلي فيحس بالرغبة في اعطاء شعوره تجاه ذلك شكلاً خارجياً)).<sup>(٤٤)</sup> كما كانت هذه الحوادث ميدانا مناسباً لذكر أسماء العديد من الشخصيات المؤثرة في حياة الشاعر والمنسجمة بشكل أو بآخر مع توجهاته الذاتية والتي تتسم كما ذكرنا بالفخر بالأجداد فكان هذا الحال مدعاة للتذكر والابداح عند زهير، لاسيما وأن تلك الشخصيات تحمل دلالة البطولة في قائد معين وفي حادثة معينة وتظل بعد انتهاء الوجود الواقعي لتلك الشخصية باقية وصالحة لان تتكرر عبر مواقف جديدة أو أحداث جديدة وهي في الوقت نفسه قابلة لان تحمل تأويلات وتفسيرات جديدة<sup>(٤٥)</sup>، وكان (هداج) أحد تلك الشخصيات ذات الدلالات القيمة و الوارد ذكره في قول زهير:<sup>(٤٦)</sup>

**فجعت عبد القيس أمس بجدها وسقيت هداجاً بكأس الأقلز**

و(هداج)<sup>(٤٧)</sup> أحد المغتالين الأشرف صرعه زهير في أحد الحوادث التي عاصرها آنذاك، وقد خلد شعره أسماء العديد من الفرسان والابطال الذين خلدوا قبائلهم وزادوا من عزتها ومنعتها عبر انتصاراتهم المتعددة ومناقبهم الشريفة كما في قوله:<sup>(٤٨)</sup>

**واستدارت رحي المنايا عليهم بليوث من عامر وجناب**

**فضل العز عزنا حيث نسمو مثل فضل السماء فوق السحاب**

و(عامر)<sup>(٤٩)</sup> المشار له في البيت هو عامر الأكبر وهو أبو بطون كثيرة من كلب ، أما (جناب)<sup>(٥٠)</sup> فهو والد زهير وبنوه بطون عدة.

إن استحضار الشاعر لأسماء هكذا شخصيات اسهم في رفع مستوى شعرية النص وزيادة موثوقيته التاريخية كما و اسهم في رفع دلالاته القيمة بوصفه نصاً تراثياً ذا حمولات ثقافية ومرجعيات تاريخية ، فكانت الانساب والقبائل جزء لا يتجزأ من هذا التراث الذي عرض له الشاعر في سياق الفخر كما في قوله:<sup>(٥١)</sup>

**لقد علم القبائل أن ذكري بعيد في قضاة أو نزار  
فما إبلي بمقتدر عليها ولا حلمي الأصيل بمستعار  
ستمنعها الفوارس من بلي وتمنعها فوارس من صحار  
ويمنعها بنو القين من جسر إذا أوقدت للحدثان ناري**

ان القبائل التي ينتمي اليها الشاعر ( قضاة و نزار ) هي قبائل لها ثقلها التاريخي في المجتمع العربي ، وهذا يؤكد نقاء أصل الشاعر ، ثم يفاخر بنفسه وكيف تتصدى له فوارس بني صحار وبني القين<sup>(٥٢)</sup> ، ودواعي الاستذكار تعود الى الشعور بالزهو والفخر بالذات أمام الآخر، أو لسرد حوادث تاريخية<sup>(٥٣)</sup> هامة عاصرها الشاعر وحفظتها الذاكرة الأدبية فكان لا بدّ من تدوين الواقعة مفصلة، ولذلك كان ديوان الرجل غني جداً بمثل هكذا أحداث أفاضت بذاكرة الشاعر الأدبية فعمد الى تدوينها، وكانت المرجعية التاريخية الجغرافية ساحة في تفصيل الواقعة وزيادة في توثيقها من ذلك قوله مثلاً:<sup>(٥٤)</sup>

**شهدت المحضنين على خزاز وبياسلان جمعاً ذا زهاء**

إنّ المراجع الجغرافية في النص وهما (خزاز)<sup>(٥٥)</sup> و(السلان)<sup>(٥٦)</sup> شهدت حوادث ووقائع هامة في حياة العرب عامة وحياة زهير بشكل خاص فدونها الرجل ذاكرة شعرية ، فكانت معلماً تراثياً حفظ الحادثة والنص معاً.

فالأحداث التاريخية تشكل رافدا مهما من روافد الشعراء في عملية الابداع على امتداد العصور الأدبية عامة إذ يستحضر الشاعر الوقائع التاريخية بوعي، فإن ماضي الشخصيات التاريخية وأماكنها وقبائلها تمنح العمل الأدبي البعد المناسب، لأنه يجعل المبدع في محاولة لإعادة تدوين ماضيه<sup>(٥٧)</sup>، فكشفت لنا الشواهد الشعرية أعلاه أنّ ديوان الشاعر كان ثريا بالإشارات التاريخية من شخصيات ووقائع وأناساب وأماكن وقبائل قد شكلت ملامح عصره وشخصه وبينت بوضوح تام علاقة الأدب بالتاريخ بالشكل الذي

جعل من شعر هذا الرجل سجلاً أدبياً حافلاً بالأحداث التاريخية الموثوقة من جهة، ومن جهة أخرى بينت الدور المحوري الهام الذي أداه زهير في الصراعات الدائرة بين القبائل في شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام .

### نتائج البحث:

**أولاً-** بينت المرجعيات العقائدية في الديوان تفوق القيم الفكرية المتصلة بالعقل والواقع على القيم المتصلة بالموروث والعاطفة والخيال .

**ثانياً-** اتصف شعر الرجل بالمصدقية والحكمة فأصبح سجلاً تاريخياً موثقاً في حفظ تاريخ شبه الجزيرة في عصر ما قبل الإسلام .

**ثالثاً-** أفاد زهير من قصص مجتمعه ووظيفها بطريقته الشعرية فجاء بالمثل كما تقرأه الذاكرة الأدبية أونراه يعمد إلى توظيف الحدث بشكل مكثف بقلب المثل، وأحياناً يشيع حكماً أصبحت أمثالاً متداولة فيما بعد.

**رابعاً-** كشف ديوان زهير بن جناب عن اثره في تاريخ الجاهلية وشعرها، فهو رأس قبائل قضاة التي تمثل ثلث العرب .

**خامساً-** كان الشعور بالفخر عند زهير والاعتزاز بالمجد منبعاً للفيوضات الشعرية وسبباً ملهماً في تدوين المرجعيات واطلاقها شعراً .

**سادساً-** كشفت لنا الشواهد الشعرية أن ديوان زهير بن جناب الكلبي ثرياً بالإشارات التاريخية من شخصات ووقائع وانساب وأماكن وقبائل شكلت ملامح عصره وشخصه، وبينت بوضوح تام علاقة الأدب بالتاريخ بالشكل الذي جعل من شعره سجلاً أدبياً حافلاً بالأحداث التاريخية الموثوقة من جهة ومن جهة أخرى بينت الاثر المحوري للشاعر في الصراعات الدائرة بين القبائل في شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام .

**سابعاً-** تفوق المرجعية التاريخية على غيرها من المرجعيات العقائدية والأدبية .

### هوامش البحث

<sup>١٠</sup> لسان العرب / مادة رجع / ٤ : ٥٧

<sup>٢٠</sup> معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة / ٩٧

<sup>٣٠</sup> النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسن / ٦٥

<sup>٤٠</sup> لسان العرب / مادة (ثقف) / ٩ : ٢٠

<sup>٥٠</sup> المعجم الأدبي : ٦٠

<sup>٦٠</sup> ينظر/ الأعلام/ ٣ : ٥١ ، والبداية والنهاية / ٢ : ١٦٩

<sup>٧٠</sup> ينظر : النسب الكبير : ٢ / ٣١٠ ، والمعمرن : ٢٦

<sup>٨٠</sup> الأغاني : ١٩ / ١٥

<sup>٩٠</sup> المعمرن : ٣١ ، ٣٥

<sup>١٠٠</sup> ينظر النسي الكبير : ٣ / ١٨

<sup>١١٠</sup> المحبر : ٢٥٠ .

<sup>١٢٠</sup> الديوان : ٥ .

<sup>١٣٠</sup> ينظر : عقيدة التوحيد في القرآن الكريم

- ١٤٠ ينظر : الاسطورة والمعنى : ٢٤  
 ١٥٠ الديوان : ١١١ .  
 ١٦٠ الديوان : ٨٠ .  
 ١٧٠ الصورة الفنية في الشعر الجاهلي : ١٠٩ .  
 ١٨٠ الديوان / ٨٦ .  
 ١٩٠ ينظر : النسب الكبير : ٢ : ٣٧٥ ، والاصنام : ١٠ .  
 ٢٠٠ الديوان : ٨٦ .  
 ٢١٠ الديوان ١٢١  
 ٢٢٠ ينظر : الديوان : ١١٤  
 ٢٣٠ ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٤١٧  
 ٢٤٠ ينظر : المرجعية الأدبية تجليات القراءة في النص الشعري :  
 ٢٥٠ ينظر قصة المثل : مجمع الامثال : ٢ : ٢١٢  
 ٢٦٠ الديوان : ٦٩  
 ٢٧٠ ينظر : الديوان ١٠٢ ، وقصة المثل في مجمع الامثال : ٢ : ١٠٦  
 ٢٨٠ ينظر : الصناعتين : ١٥٥  
 ٢٩٠ أمثال الميداني : ٢١٧  
 ٣٠٠ الديوان : ٩٤  
 ٣١٠ ينظر : الأمثال وتوظيفها في الشعر الجاهلي / ١٠٣٠  
 ٣٢٠ ينظر المثل وقصته / امثال العرب / ١٢٢  
 ٣٣٠ ينظر هامش الديوان : ١٢٢ / ١٢١  
 ٣٤٠ الديوان / ١٢٢ ، ١٢١  
 ٣٥٠ ينظر : الشعر والشعراء / ٣٨١  
 ٣٦٠ مسند أحمد / ٥ / ٢١١  
 ٣٧٠ الديوان / ١١٧  
 ٣٨٠ ينظر : المؤلف والمختلف في اسماء الشعراء / ١٣٠  
 ٣٩٠ ينظر : تاريخ الأدب العربي / ١ / ٤١٥  
 ٤٠٠ ينظر : الأنواع الأدبية في كتاب ألحان السواجع بين البادي والمراجع / ١١٢  
 ٤١٠ ينظر : الاسطورة والأدب ٥٩٨  
 ٤٢٠ الديوان / ٥٦ ، ٥٧  
 ٤٣٠ الديوان / ٩٨ ، ٩٩  
 ٤٤٠ التناسل الديني والتاريخي في شعر محمود درويش / ١٩٠  
 ٤٥٠ ينظر / استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر /  
 ٤٦٠ الديوان / ٩١  
 ٤٧٠ ينظر / اسماء المغتالين من الأشراف / ٢ / ١٢٦  
 ٤٨٠ الديوان / ٦٣  
 ٤٩٠ ينظر / النسب الكبير / ٢ / ٣٥٧  
 ٥٠٠ ينظر / م . ن / ٢ / ٣١٠  
 ٥١٠ الديوان / ٧٤  
 ٥٢٠ ينظر / جمهرة أنساب العرب / ٤٥٤  
 ٥٣٠ ينظر مثلا / الديوان / ١٠٥  
 ٥٤٠ الديوان / ٥٤  
 ٥٥٠ خزاز : هو اسم جبل بين البصرة ومكة وكان عنده يوم من أعظم أيام العرب ، ينظر في تفصيل ذلك / الديوان : ٥٤ ،  
 ومعجم ما استعجم

<sup>٥٦٠</sup>، وقد شهدتها كلب مع من شهدها من قضاة وكان فيهم زهير بن جناب ، ينظر خبر ذلك في / الديوان : ٥٤ ومعجم البلدان السلان : أرض تهامة مما يلي اليمن كان فيه يوم من أيام العرب بين ربيعة ومضر وقضاة ومذحج <sup>٥٧</sup> ينظر / ثقافتنا في ضوء التاريخ : ١٠، ٠